الثقافة المعجمية لدى المتعلمين
أسباب ضعفها وسبل إنمائها

سليمة بن مدور
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة
benmeddoursalima@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/03/25 تاريخ القبول: 2021/04/04

الملخّــص

تعتبر الثقافة المعجمية من المعارف الأساسية التي يتوجب على المتعلم اتقانها، وذلك لدورها في إمداده بالمهارات اللازمة التي تمكّنه من العودة إلى المعجم، والاستفادة منه في مرحلة تعلمه، باعتبارها من الوسائل التعليمية التي لا يمكنه الاستغناء عنها، مهما بلغ مستواه المعرفي، وغني رصيده اللغوي، إلا أنّ الواقع يكشف ضعف الثقافة المعجمية لدى بعض المتعلمين، وعزوفهم عن تصفح المعاجم واستخدامها.

ولهذا سنحاول في مقالنا، البحث عن أسباب ضعف الثقافة المعجمية أو ما نسميه (الوعي المعجمي) لدى المتعلمين، مع إبراز السبل الكفيلة بإنمائه والنهوض به إلى المستوى المأمول، وذلك بعد تحديد مفهوم الثقافة المعجمية وإبراز أهميتها بالنسبة للمتعلمين، وتحديد دور المعجم المدرسي في تعلم اللغة العربية، وما يقدمه للمتعلم من خدمات جليلة.

الكلمات المفاتيح:

الثقافة المعجميّة – الوعي - المعجم - اللغة العربية - التعلّم.

المؤلف المراسل: سليمة بن مدور، البريد الالكتروني: benmeddoursalima@gmail.com

La culture lexicale des apprenants Raisons de sa faiblesse et moyens de son développement

Résumé

La culture lexicale est l'une des connaissances de base que l'apprenant doit maîtriser de part son rôle lui apportant les compétences nécessaires qui lui permettent de revenir au dictionnaire et d'en tirer profit dans ses enseignements, car c'est l'un des moyens pédagogiques dont il ne peut se passer, quel que soit son niveau de connaissance, et la richesse de son capital linguistique. Cependant, la réalité révèle la faiblesse de la culture lexicale des apprenants, et leur réticence à parcourir et utiliser des dictionnaires.

Par conséquent, dans cet article, nous essayons de rechercher les raisons de la faiblesse de la culture lexicale (conscience lexicale) chez les apprenants, en mettant en évidence les moyens d'assurer son développement et sa promotion au niveau souhaité, et ce après avoir défini le concept de culture lexicale et mis en évidence son importance pour le lecteur et l'apprenant, et la définition du rôle du dictionnaire scolaire dans l'apprentissage de la langue arabe, et les grands services qu'il fournit à l'apprenant.

Mots clés:

Culture lexicale - L'apprenant - Le dictionnaire scolaire - La langue arabe- L'apprentissage.

The lexical culture of the learners Reasons for its weakness and means of its development

Abstract

The lexical culture is basic for the learners as it help provide the necessary skills that allow them to use a dictionary in the learning process. A dictionary is necessary for learners in different levels but in reality learners show lack of lexical culture and limited use of dictionaries.

Therefore, in this article, we try to investigate the reasons for the weakness of the lexical culture (lexical awareness) among learners, highlighting the means to ensure its development and advancement to the desired level, after defining the concept of lexical culture and highlighting its importance for the reader and the learner, and defining the role of the school dictionary in learning the Arabic language, And the great services it provides to the learner.

Key words:

Lexical culture - The learner - The school dictionary - The Arabic language- Learning.

مقدمة:

يعتبر نقص القراءة وقلة المطالعة من الظواهر البارزة في عالمنا العربي في أيامنا هذه، حيث هجر أغلب المتعلمين وطلاب الجامعة الكتب، وأصبحوا يقضون جل وقتهم في تصفح الهاتف واللوحات الالكترونية ومشاهدة التلفاز ومواقع الانترنيت، فنتج عن ذلك عزوفهم عن تصفح المعاجم -لارتباط استعمال المعاجم بالقراءة وتذليل صعوباتها- حيث أصبح من النادر أن نجد من يتصفح معجما، خلافا للأجيال السابقة التي كانت كثيرا ما ترجع للمعجم، وتعتز بامتلاكه واستعماله.

ومن بين الأسباب المباشرة التي أسهمت في ذلك؛ نقص أو انعدام الثقافة المعجمية لدى المتعلمين، وعدم إدراكهم لأهمية هذه الوسيلة التربوية الثقافية في حياتهم عامة ومسارهم التعليمي خاصة.

هذا الإشكال الذي لاحظناه على تلاميذنا وطلابنا في مختلف أطوارهم التعليمية، جعلنا نبحث في موضوع الثقافة المعجمية محاولين الإجابة عن التساؤلات الآتية:

ما هي الثقافة المعجمية وفيمَ تكمن أهميتها بالنسبة للقارئ والمتعلم؟

ما هي أسباب ضعف الثقافة المعجمية لدى المتعلمين وما هي سبل تنميتها؟

1- مفهوم الثقافة المعجمية:

الثقافة المعجمية هي مجموع المعارف المتعلقة بماهية المعجم، ومدى الوعي بأهميته باعتباره وسيلة تربوية تعليمية تثقيفية، والمهارات المرتبطة بطريقة استعماله والاستفادة من خدماته المتعددة، يكتسب المتعلم هذه الثقافة من مصادر مختلفة كالأسرة والمدرسة، والمكتبة... حيث تعمل على تكوين هذه الثقافة وتنميتها.

2- مفهوم المعجم:

يُعرِّف محمد صلاح الدين الشريف المعجم بقوله:» المعجم أثر مكتوب ذو حجم ما، يجمع مفردات من لغة أو لغتين أو أكثر مرتبة على نحو معين، مصحوبة بتعريف أو ترجمة، وغرضه إعانة القارئ على حذق المفردات نطقا ومعنى، بمعرفة

الأساسي مما يتعلق بها من المعلومات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والبلاغية، أو من المعلومات الثقافية العامة» (الشريف، 1986، ص16).

وجاء في قاموس اللِّسانيات: «المعجم مؤلّف تعليمي، يتألَّف من مجموعة من النصوص المعجميَّة articles، يكون المدخل entrée فيها كلمة، وترد هذه النّصوص مستقلة عن بعضها البعض -رغم اعتماد الإحالات- ومرتبّة ترتيبا ألفبائيا، أمّا طريقة قراءته فتكون عن طريق التَصفُّح، ويخضع تصنيف المعجم لتقنيات الصناعة المعجمية» (Dubois, 2007, p 146).

3- مفهوم المعجم المدرسي:

إنَّ الكتب التي تحمل عنوان معجم كثيرة ومتعددة، لكنَّ كلمة «معجم» تكون مخصصة في بعض الأحيان بتحديد معين -صفة أو مضاف إليه- يوضّح المحتوى أو الجمهور المقصود، كما هو الحال بالنسبة للتركيب الوصفي: «المعجم المدرسي».

يرجع اقتران صفة «المدرسي» بمصطلح معجم «...إلى ارتباط المعجم المدرسي بالمدرسة وبالمنهاج الذي يُدَرَّس في مستوى معين، يدعو إلى أن يعكس هذا المعجم المضامين الواردة في المنهاج والتي يتعرض المُتَعَلِّم إلى حاجة البحث فيها لاستجلاء ما غمض منها أو للاستزادة وإغناء رصيده منها... «(الصوري، 1998، ص27).

ويرى عبد الغني أبو العزم أنَّ المعجم المدرسي هو مجموع كلمات الرصيد اللّغوي لمرحلة ما، مرتبة ترتيبا ألفبائيا مع شرحها داخل سياقها، وإيضاح شروط استعمالها، ويتجاوب مع معطيات مستعمله الذّهنية والثقافية، ويستعين به المُتَعَلِّم في فهم ما هو مكتوب، وهو ليس أداة لتعلم اللغة بل لمعرفتها، تُمكِّن المُتَعَلِّم من تطوير معارفه ومعلوماته، وتُشبِع فضوله، وتريحُ باله، وتُغنيه عن السؤال البسيط (أبو العزم، 1997، ص274-275).

4- أهمية الثقافة المعجمية واستعمال المعاجم:

4. 1 المعجم وسيلة للقراءة وليس للاستعمال فحسب:

لا يمكن لأي شخص الاستغناء عن المعجم مهما بلغ مستواه العلمي، واتسعت

ثقافتـه، وغنـيَ رصيـده اللغـوي، إذ يسـتحيل مـع كل ذلـك الإحاطـة باللغـة، لأنـه لا يحيـط باللغـة إلا نبـي كـما قـال الشـافعي، ولا شـك أن الحاجـة ماسـة إلى اسـتخدام المعجـم لـدى جميـع الفئـات الاجتماعيـة والمهنيـة، وفي كافـة المسـتويات الدراسـية، وفي مختلـف مراحـل الحيـاة.

ولا يقـف التعـرف عـلى المعجـم واسـتعماله والبحـث فيـه عنـد شرح الكلـمات الصعبـة والغامضـة وإيضاحهـا، بـل يضمـن المعجـم التكويـن الثقافي والعلمـي، ومزيدا مـن المعرفة وترسـيخ المعلومـات، وهـذا مـا يجعـل قـراءة المعجـم متعـة للثقافـة تتجـاوز البحـث عـن كلمـة مـن الكلـمات، كـما أنـه سـبيل لمعرفـة المعجـم في حـد ذاتـه ومعرفـة آلياتـه ونسـقه معرفـة دقيقـة تعمّـق ارتبـاط المتعلـم بـه، ومـما لا شـكّ فيـه أنـه ليـس المطلـوب تحصيـل كل ثروتـه اللفظيـة، ولكـن التعامـل معـه كقـارئ قبـل الرجـوع إليـه كمسـتعمل (Obadia, 1976, p101) فبالرغـم مـن كونـه عمـلا مرجعيـا[1]، فهـو صالـح للمطالعـة، يقـول عمـر فـروخ: «ولعـل مـن غـير المنتظـر عنـد نفـر مـن النـاس أن يسـتمعوا أن القامـوس مـن كتـب المطالعـة، ولكـن القامـوس في الواقـع مـن الكتـب المفيـدة التـي تصلـح للمطالعـة صلاحـا كبـيرا، فـإن كل كلمـة في القامـوس تقـصّ قصـة، أو تـسرد تاريخـا طويـلا، أو تكشـف عـن رحلـة ذهنيـة جميلـة !» (فـروخ، 1969، ص60). ويضيـف في موضـع آخـر: «فـإنّ مطالعـاتي في القامـوس مطالعـات دائمـة مسـتمرة، فكثـيرا مـا أذهـب إلى القامـوس لأرى صيغـة مـن جـذر أو معنـى لصيغـة فأسـتمر في القـراءة مقـدار صفحـة أو أكثر...معـان تبعـد في الاسـتعمال عـما نألفـه كثـيرا أو قليـلا، ثـم فوائـد تاريخيـة وثقافية واجتماعيـة تكشـفها الكلمـة بعـد الكلمـة. إنَّ القـراءة في القامـوس لا تـسرد لنـا تاريـخ الكلـمات فحسـب، بـل تكشـف لنـا عـن منحـى التفكـير في الأمـة التـي تتكلـم باللسـان الـذي نقـرأ في قاموسـه. وفي القامـوس كلـمات قـد تقـصّ علينـا تاريخـا لا تقصّـه كتـب التاريـخ «(فـروخ، 1969، ص 64-65).

وقـد ذكـر دايلكارنيجـي، أن «براوننـج»[2] كان يقـرأ المعجـم بإمعـان يوميـا، ويجـد في ذلـك ترفيهـا وتثقيفـا، وكذلـك فعـل «أبراهـام لنكولـن»[3] الـذي كان يجلـس في الشـفق،

يقرأ المعجم على قدر ما يستطيع، وجعل الكاتب الأمريكي مارك توين Marc Twain أهم أهدافه امتلاك عنان الألفاظ، وسخَّر لتحقيق هذا الهدف شجاعته وبديهته، وبالفعل فقد أصبحت لديه قدرة فائقة على استخدام الكلمات، وصياغة العبارات بطريقة سهلة وممتعة، وكانت الوسيلة التي استعان بها هي»معجم ويبستر الكبير» Webster's dictionar الذي كان يُكثر من تصفُّحه، ويصطحبه أثناء سَفَرِهِ (كارنيجي، دت، ص200).

من خلال ما تقدّم، تبيّن لنا أنه يمكننا اتّخاذ المعجم كتاب مطالعة، ما من شأنه أن يوسّع مداركنا ويمدّنا بحصيلة من المعارف المتنوعة، كونه جامعا ومفسرا لعدد معتبر من مفردات اللغة، والمصطلحات المرتبطة بمختلف العلوم والفنون، فهو الكتاب الوحيد الذي يقبل هذا التنوع، ويضم هذا الشتات، وهذا ما لا يمكن لأيّ كتاب آخر أن يضطلع به.

4. 2 دور المعاجم في تعليم اللغة العربية وتعلمها

يحتاج المتعلم حتى ينجح في تحصيله العلمي، إلى كتب مساعدة ووسائل تعليمية - فضلا عن الكتب المدرسية المقرّرة - تمكنه منفهم ما يتلقاه طيلة مساره التعليمي، ولعلّ أهم هذه الوسائل المعجم، وتؤكد نتائج الدراسات أنّ الوظيفة الأساسية للمعجم ترتبط أشد الارتباط بالعملية التعليمية، ولها أثر إيجابي في عملية التعلّم، ومن أهدافها الأساسية سد الفراغ الموجود بين المعارف المراد تحصيلها، وبين القارئ، سواء أكانت تلك المعارف متعلقة باللغة أم بالعلوم أم بالحياة العامة، فهو الأداة التربوية التي نلجأ إليها بصورة دائمة (Dubois, 1971, p11). إن الوقوف على دور المعجم المدرسي في العملية التعليمية من شأنه أن يكشف عن أهميته، ومن خصائصه التي تبرز أهميته البيداغوجية ما يأتي:

- إنّه وسيلة في يد المتعلم يستعملها في **شرح المفردات**، أي في البحث عن معانيها الغامضة أو المجهولة التي تعترضه عند قراءة النصوص التعليمية، وأثناء مطالعته القصص والكتب والمجلات، كما يتأكد المُتَعَلِّم باستعماله

المعجم من معلوماته، فيتخلص من جوانب الضعف لديه، يقول هارتمان: «ربما نضيع في متاهة الألفاظ إذا لم تسعفنا المعاجم» (هارتمان، 2004، ص43)، فمن المسلمات أن قصور المتعلم عن فهم المفردات صعبة المنال التي تتضمّنها النصوص، سلبياتٌ كثيرة منها نفوره من القراءة وإضعاف رغبته في المطالعة.

- يعمل على **إثراء الرصيد اللغوي الوظيفي** للمتعلم بإكسابه ألفاظا جديدة، ويعرِّفه بمعانيها المتعددة؛ فتنغرس في ذهنه، ويمكنه استخدامها في سياقات مختلفة، وبصيغ متنوعة، وقد أوضح كل من Don Mc Creary و-Frédéric Do lezal، في دراستهما التطبيقية أثر استخدام المعاجم في تعلُّم المفردات وحِفظها، وأظهرت نتائج دراستهما أنَّ المُتَعَلِّمين الذين استخدموا المعجم، حققوا نتائج أفضل ممّا حققه الطلاب الذين اعتمدوا على الأدلة السياقية في النص (Creary, 1999, p107).
- يؤدي استعماله إلى **التقليل من انتشار ظاهرة «اللفظية» verbalisme**، التي تعني استعمال أو ترديد الكلمات دون معرفة معانيها أو دون إدراك دقيق لهذه المعاني (بدران، 1983، ص325).
- وسيلة تدريبية تمكّن المتعلم من إرجاع الكلمات إلى أصولها (المعجم الجذري)، وصياغة المشتقات من الكلمة الواحدة، ومعرفة جموع الكلمات، التي لا تشابه بين مفردها وجمعها؛ كجمع «نساء» الذي مفرده «امرأة»، وجمع الناس الذي مفرده «إنسان».
- وسيلة تغرس في المتعلم الذي يستعملها **روح البحث**، وتربي فيه **حب الاستطلاع** وتثبّتها فيه، وتُشعره بمتعة البحث، كما تُحفِّزه على القيام بذلك مستقبلا، فإذا تعوّد على ذلك أصبحت قراءته »للنصوص قراءة حقيقية ذات مدلول واضح، حيث يتمثل القارئ معنى النص ويتفاعل معه، وربما يستنتج بعض المغازي والعِبَر التي تغيب عنا أثناء القراءات العابرة، وهي تدفعه

من جهة أخرى إلى التعامل مباشرة مع المعرفة، فيبحث التلميذ بنفسه وينقب وينتقد، ويتحرك ويُحرك وينفي ويؤكد، وهذا هو مقصود التربية الحديثة« (ضيف، 2000، ص 26-27).

- ينقل المتعلم من مرحلة الاعتماد على المعلّم والكتاب المدرسي في تحصيل الكلمات ومعانيها وإنماء رصيده اللغوي، إلى مرحلة الاعتماد على نفسه في اكتسابها، وهو ما يعرف «**بالتعلم الذاتي**»؛ فكلما واجهته صعوبة في فهم معنى كلمة ما، أو صادف كلمة جديدة لم يسبق له الاطلاع عليها، هرع إلى المعجم ليجد فيه الإجابة، ولا يضطرّ إلى البحث عن المعلومة عند أشخاص قد لا يحيطون بكل الخصائص الدلالية للكلمة المقصودة، لذا يقول بول روبير: «إنّ المعجم هو أجمل هدية يمكن تقديمها لطفل عندما يبدأ في تعلم القراءة« (Robert, 1980, p214).
- يوسع المعجم المدرسي **مخزون المتعلم المعرفي، والعلمي والثقافي** بشتى المعلومات التي يقدمها له، والتي تتمثل خصوصا في الملاحق التي تتضمن أهم قواعد اللغة العربية، وأعلام الدول وخرائطها، وبعض اللوحات...الخ
- باستخدام المعجم المدرسي يتعرف المتعلم على **ظواهر لغوية**؛ كالمشترك اللفظي والأضداد وأصول الكلمات، كما يعدّ المعجم مرجعا للمصادر السماعية التي لا قاعدة لها. ومعرفة ضبط الكلمات ضبطا صحيحا (كحركة عين الفعل، وكيفية تصريفه في الماضي والمضارع والأمر أحيانا، وكيفية اشتقاق المصدر وغيره...).
- يقلّل المعجم المدرسي -تدريجيا- من أخطاء المتعلم في الكتابة، لأنه يتعلم - بواسطة الاستخدام المستمر له- **كيفية كتابة الكلمة كتابة صحيحة وسليمة**، كون المعجم يضبط الكلمات ضبطا صحيحا بالشكل والحركات، ويفرق بين المفردات التي لها الأحرف نفسها.
- يعين المعجم المدرسي المزدوج القارئ على اكتساب اللغات الأجنبية وفهمها

- يحدّد المعجم المدرسي طريقة نطق الكلمات والذي يكون إما بضبط الكلمة بالشكل، وإما بعبارة توضيحية؛ كأن يُقال: بضم الأوَّل أو بفتح الثاني... أو بذكر وزنها أو مثالها.
- يساعد المتعلّم على معرفة **المعاني الدقيقة لأهم المصطلحات المتخصصة** في الحياة العامة، حيث تنتقل هذه المصطلحات لأهميتها وشدة تواترها وكثرة شيوعها، من المعجم الخاص إلى المعجم اللغوي.
- إنَّ المواظبة على تصفح المعجم المدرسي يعين المتعلِّم على اكتساب **أسلوب فني سلس وجميل**، بفضل الشواهد التوضيحية والسياقية التي ترد في المعجم نثرية كانت أم شعرية، وبفضل الأمثلة التي تكون من تأليف المعجمي نفسه، كما تعلّمه مهارة تقديم تعريفات موجزة للكلمات.

ومهما تتبعنا الوظائف التي يؤديها المعجم المدرسي فإنّه لا يمكن قياس أهميته بعدد هذه الوظائف، كما أنَّ قيمتَه لا تنحصر فيها بل تتجاوزها، نظرا إلى أن المتعلّم في اتصال مستمرّ بمصدر اللغة السليمة وجامعها، وبهذا تتبين أهمية الدور الذي يقوم به المعجم في العملية التعليمية، ولا يبرز ذلك إلا إذا نجحنا في ترغيب المتعلّمين في مطالعته كما تطالع القصص والكتب المشوّقة، وتصحيح فكرة اللجوء إلى المعجم فقط عند حاجتهم لشرح الكلمات الصعبة، وبهذه الطريقة يتجلى أثر المعجم الفعلي، لا سيما إذا خضع تأليفه إلى شروط محدّدة توافق مستويات المتعلم ينوي حاجاتهم وتطلّعاتهم، من تفسير المبهمات وتحديد المصطلحات وتنويع الاختيارات ودعم المعاني بالأمثلة والصور، وكل ما من شأنه تغذية فِكر المتلقي وإرضاء فضوله، لأنَّ نجاح التجربة الأولى في تعامله مع المعجم المدرسي؛ يحفّزه على الرجوع إليه باستمرار، بل يغدو تصفّح المعاجم المختلفة مستقبلا، جزءا من عاداته.

5- أسباب ضعف الثقافة المعجمية:

5. 1 العودة إلى الانترنيت في كل عمل أو بحث:

يلجأ المتعلمون في زماننا إلى الشبكة العنكبوتية عند كل عمل أو بحث يتطلب

منهـم، أو لـدى أي مشـكلة تعترضهـم مهـما كانـت بسـيطة، فلقـد احتلـت فضـاءات الانترنيـت مكانـة المكتبـات، وانـصرف عـدد كبـير مـن المتعلمـين عـن المعجـم الورقـي أو حتـى الإلكـتروني لحـل مشـكلاتهم اللغويـة.

ونحـن لا ننكـر مـا تقدمـه الانترنيـت مـن خدمـات تدعـم عمليتـي التعلـم والتعليـم، حيـث يـسّرت عـلى المتعلمـين الوصـول إلى المعلومـة، لكنهـا في الوقـت نفسـه سـاهمت في عزوفهـم عـن قـراءة الكتـب وتصفـح المعاجـم، وبـدّدت روح البحـث والتنقيـب لديهـم، فأصبـح المتعلـم يتّبـع أيـسر الطـرق للحصـول عـلى المعلومـة جاهـزة بـدون إعـمال فكره، وقـد تكـون هـذه المعلومـة مغلوطـة، لا سـيّما إذا اسـتمدّت مـن مصـادر غـير موثوقـة أو مجهولـة، بالإضافـة إلى كـثرة المواقـع الالكترونيـة التـي كثـيرا مـا تتسـبّب في تشـتته أثنـاء عمليـة البحـث.

5. 2 شرح الكلمات الصعبة في الكتب المدرسية:

نعتقـد أنـه لهـذا السـبب دورا سـلبيا حـال دون رجـوع المتعلـم للمعجـم، حيـث يكتفـي بالـشروح الـواردة في نصـوص القـراءة، فـلا يبحـث عـن مصـدر آخـر لشرحهـا، وهنـاك سـلبيات كثـيرة تترتـب عـلى وضـع الـشروح في كتـب القـراءة؛ فقـد يجـد المتعلـم شرح الكلـمات الصعبـة في هوامـش الكتـاب المـدرسي أو القصـة التـي يطالعهـا... إلا أنّ هـذه الوسـائل لا تـشرح إلا معنـى الكلمـة الـواردة في النـص المقـروء، ولا يتعـداه إلى غـيره مـن الاسـتعمالات، والمعجـم هـو الوسـيلة الوحيـدة التـي تمكّنـه مـن معرفـة مختلـف اسـتعمالات الكلمـة، خصوصـا إذا كانـت مدعّمـة بالأمثلـة التوضيحيـة.

وقـد تفـسّر تلـك الكلـمات بألفـاظ أخـرى تكـون متباينـة في معانيهـا، ولا يمكـن للمتعلـم أن يحـدد الفـروق اللغويـة بينهـا، أو اللفـظ الـذي يوضّـح الكلمـة المشروحـة، فيبقـى معنـى الكلمـة مشوشـا في ذهنـه.

وقـد حـاول عطيـة الإبـراشي، ومحمـد سـعيد العريـان، وضـع تفسـيرات وشروح للمفـردات الصعبـة الـواردة في قصصهـما، وانتقـد محمـد المنـسي قنديـل هـذه الطريقـة مبينـا أنـه «... أمـر جعـل النـص مترهـلا بعـض الـشيء»، ويقـول مقترحـا حـلا أنسـب:

«...ومن المؤكد أننا في حاجة إلى قواميس لغوية خاصة بالأطفال، قواميس غنية بالتفسير السلس للمعاني الصعبة، مزينة بالصور، وغنية بالمعلومات، تكون في منتصف الطريق بين القاموس والموسوعة الصغيرة، إن هذا الأمر كفيل بأن يجعل عملية البحث ممتعة، كما يجعل المعنى يثبت في الذهن لمدة أطول (قنديل، 2002، ص46).

فعلى أي أساس تشرح بعض الكلمات في الكتب المدرسية ولا تشرح أخرى؟ وهل فعلا تعدّ الكلمات المشروحة سبب تعقّد الفهم لدى المتعلم؟

فقد يحتوي الكتاب المدرسي على كلمات صعبة أخرى لم يتفطن إليها واضع الشروح في الكتاب، ثم إن الكتاب المدرسي لا يمنح المتلقي إلا شرحا واحدا للكلمة، وهو المعنى المرتبط بالنص المقروء، فيصبح هذا المعنى الوحيد معلّقا بذهن القارئ، في حين تزخر الكلمة بمعاني كثيرة تتعدّد بتعدّد السياقات، مثال ذلك كلمة «قطع» التي يختلف معناها باختلاف السياق الذي وضعت فيه، وقد تكون معان متعاكسة، وإن معرفة معاني مثل هذه الكلمات ذات أهمية كبيرة بالنسبة للقارئ، فقد يقال:

- قطعت الحماية المدنية التيار الكهربائي لإصلاح العطب.
- قطع الفلاح الثمار الناضجة (قطفها).
- قطع اللّصوص الطرق ليلا (سلبُ العابرين ونهبهم).
- قطعت الشرطة الطرق الموصلة للحادث (منعوا المرور فيه).
- قطع الباحث شوطا كبيرا في تحرير أطروحته (أحرز تقدما كبيرا).
- قطع محمد الصلة بصديقه (هجره ولم يعد يلتقي به).
- قطعت فاطمة رحمها (لم تصلها).
- قطع البلاد طولا (عبرها).
- قطع الطالب الراسب وقته لهوا ولعبا (قضاه).
- قطع مدير الشركة وعدا بمساعدة موظفيه.

- قطع الصلاة (أبطلها).

ثم إنَّ المعجم لا يكتفي بإعطاء المرادف كالكتاب المدرسي، بل يقدم شرحا كاملا للكلمة، ويزوده بأمثلة عن استعمالاتها واشتقاقاتها، ممّا يثري رصيده اللغوي.

انطلاقا مما سبق نستنتج أنه من الضروري أن يتعود المتعلم على استعمال المعجم والرجوع إليه، ولا وسيلة أفضل من المعجم في تخطي الكلمات الصعبة التي تعترضه وتفسيرها.

5. 3 إغفال الجهات التعليمية الفاعلة دورَ المعجم:

إنَّ استخدام هذه الوسيلة التعليمية ذات الأهمية البالغة، يكاد يكون غير ملحوظ في مؤسساتنا التعليمية، ولعلّ هذا راجع إلى عدم وعي المنظومة التربوية-التعليمية بأهمية المعجم المدرسي ودوره البيداغوجي، ويتحمّل المعلّمون قسطا من العبء نتيجة عدم إدراكهم أهمية تعليم التلاميذ كيفية البحث فيه واستخدامه؛ذلك أن المعاجم تختلف من حيث منهج التصنيف، فمنها ما اعتُمد في ترتيب كلماتها المنهج الجذري (وفق أصول الكلمات)، ومنها ما اتُّبع فيها **المنهج النطقي** (وفق أوائل حروفها دون تجريد الكلمات من الزوائد)، هذا فضلا عن اختلاف مستويات المعاجم وتخصصاتها وأحجامها، وهذا من شأنه أن يربك المتعلم-إذا افترضنا أن المتعلم قد عرَف المعجم في البيت أوفي مكان آخر-ويجعله حائرا أي المعاجم يختار وما هي طريقة البحث فيها؟

ويتأسَّف حسن كامل الصيرفي عن عدول الوزارة المكلفة بالتعليم في مصر منذ سنوات عن توزيع المعاجم على المدارس والمعاهد، ونجم عن هذا القرار جهل المُتَعَلِّمين بالمعجم حيث لا تقع أبصارهم عليه، حتى وإن قدّر لأحدهم الاطلاع على واحد منها، لما تمكّن من البحث فيه (الصيرفي، 1971، ص152).

«وبالمقابل يختلف موقف الدارس الأوروبي إزاء لغته، نتيجة الوعي المعجمي الذي تَبُثُّه أجهزة التربية والتعليم والإعلام في أذهان تلاميذهم منذ البداية، فيشب المتعلم وقد تمكن من كل المهارات المعجمية الأساسية، مهما انصرف بعد ذلك إلى

فـروع دراسـية بعيـدة عـن مجـالات اللغـة والأدب» (عبـد اللـه، 1991، ص10).

وقـد انعكـس ذلـك الوعـي المعجمـي عـلى مـدرسي اللغـات الأجنبيـة في بلادنـا، حيـث نجدهـم يحثـون تلاميذهـم عـلى اسـتعمال المعجـم المـدرسي، ولهـذا السـبب نلاحـظ أنّ المترددين عـلى المكتبـات التجاريـة ومعـارض الكتـاب يطلبـون المعاجـم الفرنسـية ويقتنونهـا أكـثر مـن نظيرتهـا العربيـة، كـما يهتمـون بالمعاجـم المزدوجـة اللغـة(Dic-tionnaires bilingues) ضمـن الاهتـمام باللغـات الأجنبيـة.

إنّ عـزوف المتعلمـين عـن اسـتعمال المعاجـم العربيـة لا يرجـع إلى تمكنهـم مـن اللغـة العربيـة –حيـث تعكـس النتائـج انخفـاض مسـتواها في أوسـاط المتعلمـين- وإنمـا يرجـع إلى عـدم توعيتهـم بدورهـا في تعلـم اللغـة العربيـة، وعـدم إمدادهـم بالمهـارات الأساسـية لاسـتعمالها والاسـتفادة منهـا.

5. 4 الجهل بتقنيات البحث في المعجم:

إنَّ نظـرة بسـيطة في واقـع اسـتعمال المعاجـم لـدى المتعلمـين، يؤكـد عـدم امتلاكهـم لطريقـة البحـث فيـه، وعـدم وعيهـم بأهميتـه مـما يؤثـر سـلبا عـلى تعليمهـم.

أوضـح هارتمـان أنَّ اسـتبيانا أُرسـل إلى عـدد كبـير مـن المـدارس والمعاهـد في جنـوب غـربي انجلـترا كشـف أن الدارسـينلا يتلقـون إلا القليـل مـن النصـح والإرشـاد عـن كيفيـة اختيـار المعاجـم واسـتعمالها (هارتمـان، 2004، ص93). لـذا ينبغـي أن يكتشـف المدرِّسـون إمكانـات المعجـم، بمـا هـو أداة مـن الأدوات المعينـة عـلى التعلّـم المسـتقل، وأن يسـعوا جاهديـن إلى تحسـين المهـارات المرجعيـة لتلاميذهـم، وعـلى المعجميـين أن يولـوا اهتمامـا لمـا يحـدث لمعاجمهـم حـين يتعامـل معهـا الدارسـون، وأن يكونـوا عـلى اسـتعداد لتحسـينها وتجريـب صيـغ جديـدة (هارتمـان 2004، ص188-189).

لقـد تعـوّد التلاميـذ أسـلوب التلقـين والاعتـماد عـلى الآخريـن في تحصيـل المعـارف، وأخـذ الإجابـات جاهـزة دون بـذل أدنى جهـد. إن التلاميـذ في مسـيس الحاجـة إلى التدرُّب عـلى تحمـل المسـؤولية صغـارا، وأول مسـؤولية تنـاط بهـم هـي الدراسـة، وبهـذا يتعلمون كيـف يواجهـون العراقيـل، ويتعـودون عـلى البحـث في المعجـم، بتقديـم الطريقـة وليـس

المعلومة، لاسيما أن طرائق التدريس قد تغيرت، فبعد أن كانت تعتمد على التلقين، أضحت تستند إلى المقاربة بالكفاءات؛ التي تدعو إلى جعل المتعلم محور العملية التعليمية، وما المدرس إلا موجهٌ يمد يد العون للمتعلم، وينظم العملية التعليمية، وتعمل الطرائق الحديثة على تزويد المتعلم بما يمكّنه من الحصول على المعرفة، وتنمية قدراته واعتماده على نفسه، وجعله في مواقف تقتضي منه إيجاد حلول لمشكلات معينة باستغلال مكتسباته القبلية، والرجوع إلى مصادر مختلفة لتطوير مهاراته وإثراء معارفه.

لذا ينبغي أن تكون المساعدة منهجية، بتقديم الوسيلة لا المادة، ينبغي أن نعلمهم كيف يأخذون المعلومة لا أن نقدمها لهم جاهزة، لأن ذلك يُعوِّد المتعلم الاعتماد على الأولياء، والإخوة في البيت، وعلى المعلم في المدرسة... دون بذل أدنى جهد، لأنه يعلم أن الإجابة ستأتيه، فلا يتعب نفسه في البحث عنها، والتفتيش عن موضعها، ولهذا الأمر سلبيات كثيرة فبالإضافة إلى تعويده الاعتماد على غيره، ينمي فيه الشعور بأنه تابع للآخرين وغير مسؤول، لذا ينبغي العمل بالحكمة الصينية التي تقول: «لا تعطني السمكة، ولكن علمني كيف أصطادها بنفسي».

إن المساعدة المجدية تكون بتعريف المتعلم بمصادر البحث، وتعليمه طرق استعمالها، هذه المساعدة يسيرة لكنها -بكل تأكيد- أكثر نفعا، حيث تكون فائدتها مستمرة وطويلة المدى، فماذا يفعل هذا المتعلم، حينما يغيب الأولياء أو الإخوة والأخوات أو المعلم، وكل من كان يعوِّل عليه في شرح الكلمات أو معرفة مقابلاتها في لغات أخرى؟

لقد انتبه الغرب منذ خمسينيات القرن الماضي إلى أهمية المعجم في الحياة الدراسية، ولا غرابة أن تصدر وزارة التربية الوطنية الفرنسية قرارا وزاريا تفرض فيه فرضا ضرورة أن يكون بين أيدي الطلاب وخلال مرحلتهم الدراسية كتابٌ في نحو اللغة الفرنسية، ومعجمٌ للغة الفرنسية [4]، وقد شكل هذا القرار منعطفا هاما في الحياة التعليمية الفرنسية، ونقطة انطلاق لتطوير كل المشاريع المعجمية التي

ظهرت من قبل ومن بعد، كما أغنى المكتبة الفرنسية بشتى أصناف المعاجم المدرسية على اختلاف مستوياتها (أبو العزم، 1997، ص238-237).

ومن أهم الأمور التي ينبغي أن يعرفها مستعمل المعجم -سواء أكان مرتبا ترتيبا ألفبائيا حسب الأصول (منهج جذري)، أم مرتبا ترتيبا ألفبائيا حسب أوائل الكلمات (منهج نطقي)- **هو ترتيب الحروف**، إلا أننا نجد عدم حفظ أغلبية المتعلمين للحروف الألفبائية العربية، في حين يحفظون ترتيب الحروف الألفبائية الفرنسية، ولا نستغرب هذه النتائج إذا علمنا أنه حتى في صفوف طلاب الجامعة هناك من لا يعرف ترتيب الحروف الألفبائية العربية.

5. 5 عدم امتلاك المتعلم للمعجم:

إنّ القارئ أو المتعلم الذي لا يمتلك معجما عربيا، ولا يستعمله، تصبح عنده الكلمات التي صَعُبت عليه في النصوص، أكثر غموضا وحدة مع الوقت. وهناك اعتبارات كثيرة تحول دون امتلاك المتعلمين للمعجم العربي، منها صعوبة تحديد نوعية المعجم المدرسي أو المستوى الذي هم بحاجة إليه؛ بسبب تعدد المعاجم المدرسية التي تباع في المكتبات واختلافها من حيث الحجم والمادة، خاصة إذا علمنا أن المعاجم المتوفرة لا تصرح بالمستوى الذي وجهت إليه.

ثم إنّه لا ينبغي علينا أن نفتخر بوفرة المعاجم المدرسية في السوق، لأن أغلبها لا يستجيب لحاجة المتعلم، ولا توجد معاجم كثيرة تستحق أن تكون في مكتبة المتعلمين، حيث لا تتماشى ومتطلباتهم، فأغلب المعاجم المدرسية لا تجدَّد مادَّتها المعجميَّة، وحتى إن وجدنا طبعة جديدة لمعجم ما، فهي في الحقيقة نسخة طبق الأصل لسابقتها، إذ لم يعتريها أدنى تغيير، كما تعتمد في تأليفها على المعاجم القديمة أو السابقة مصدرا لها، ولا تستند إلى دراسات علميَّة لمعرفة احتياجات مستعمليها اللغويَّة، وتكتفي الغالبية منها بالاحتكام إلى الذَّوق الشَّخصي والرأي الذاتي لمؤلفيها، والذي كان له نتائج سلبيَّة أبرزها إيراد الألفاظ المهجورة والغريبة والعاميَّة، وخلوّها من الكثير من الألفاظ الحضاريّة والمصطلحات العلميَّة والفنيّة، بالرغم من كثرة

تداولها وانتشارها في الحياة اليوميَّة للمتعلِّمين، فأضحت أغلب المعاجم العربيَّة غير مؤهَّلة في مادَّتها للإسهام في إثراء الرَّصيد لدى مستعمليها وترقية لغتهم (بن مدور، 2019، ص204 وما يليها).

5. 6 افتقار المعاجم العربية إلى الجاذبية شكلا وطباعة:

لقد بينت العديد من التجارب أن لشكل الكتاب عموماً دوراً بارزاً في استهواء القارئ، وجذب انتباهه لاقتنائه، ومن ثمة استعماله، فلا شك أنَّ المعجم الّذي توفّرت فيه كل الشّروط الخاصة بالطباعة والإخراج، يُسهم إسهاماً فَعَّالا في نيل ثقة القارئ، أما إخراج المعجم إخراجاً يفتقر إلى عُنصر الإتقان والإثارة والتشويق، فإنه يؤدي حتمًا إلى انصراف القارئ عنه.

يتبين من تصفّح المعاجم العربية -خصوصًا تلك الموجهة إلى المتعلمين- أنها لا تزال بعيدة من حيث مستوى الطباعة والإخراج عن نظيرتها الغربية، ولا تُساير التطور الذي عرفته الطباعة المعاصرة، ولا تستجيب لشروط ومُواصفات إخراج الكُتب والمطبوعات المختلفة، والصور فيها صغيرة باهتة، وغير مُحققة للغاية التوضيحية التي وُضعت لأجلها، إضافة إلى عدم إحكام مسك أوراقها، إذ سرعان ما تتمزق في حال تكرر استعمالها.

وقد يرجع ذلك إلى قلة التمويل الذي يُخصَّص لتغطية مصاريف الطباعة والإخراج، ونقص المعدات في دور النشر التي لا تواكب التقدم التكنولوجي، بالإضافة إلى عدم تكوين متخصصين في الطباعة، والإخراج المطبعي، وفي الرُسوم، والصور ونقص الدراسات التي تُعنى بالبحث في حاجيات القرّاء بأصنافهم ومستوياتهم.

في حين يعود سر نجاح دور النشر الغربية عامة في هذا المجال، إلى اعتدادها بفن الطباعة، وبإيلائها عناية خاصة باحتياجات القراء ونفسياتهم، لذلك نجد المعجميين الغربيين يؤلفون المعاجم لمُختلف المُستويات الفكرية والمراحل الدراسيَّة، فاستطاعُوا الوُصول إلى عقول الأطفال، وأحاسيسهم، بتقديمهم أعمالا تتسّم بالجودة والدقة وعنصر الجاذبية، فجمعوا في أعمالهم ثنائية الفائدة والمتعة.أمَّا الاهتمام بالطفل

العـربي وبكتبـه ومؤلفاتـه، والاعتنـاء بطباعتهـا، فقـد بـدأ متأخِـرًا مُقارنـة بالغـرب.

ولا شـك أن المعاجـم المدرسـيَّة العربيَّـة تعـاني مـن قصـور واضـح في الملحقـات (An-nexes) عـلى الرغـم مـن أهميَّتهـا، ومـا نجـده مـن ملحقـات لا يتعـدى رايـات دول العالم، وبعـض قواعـد اللغـة العربيـة، وتظهـر حـدّة هـذا القصـور عنـد أبسـط مقارنـة بـين المعاجـم العربيـة ومعاجـم البلـدان المتقدمـة التـي اعتـبرت الملحقـات جـزءا أساسـيا لا يتجـزأ مـن المعجـم، وشرطـا مـن شروط تأديتـه للوظيفـة التربويـة والتعليميـة والتثقيفية، التـي ترتبـط أشـد الارتبـاط بالمعجـم الناجـح، فوفـرت لـه كل الإمكانـات العلميَّـة والطباعيـة التـي مـن شـأنها تقديـم ملحقـات جيـدة ومفيـدة وممتعـة في الآن نفسـه.

إننـا لا نهـدف مـن خـلال هـذا الحكـم التهويـن مـن قيمـة المعاجـم العربيـة، لكننـا حريصـون عـلى أن يكـون إخراجهـا في أبهـى صـورة، وفي أجمـل حُلَّـة، ولا يعنـي هـذا أننـا نُسـوي بـين كل المعاجـم في تقصيرها،وإنمـا الإنصـاف المشـفوع بالتتبـع العلمـي الموضوعي يقتـضي الإقـرار بأنهـا متفاوتـة في هـذا المجـال، فنحـن لا ننكـر وجـود بعـض المعاجـم التي تُسـاير مـا حصـل مـن تطـور في الطباعـة، وتقنيـات الإخـراج الفنـي، إلا أنهـا قليلـة جـدا، أمـا البقيـة فهـي مُفتقـرة إلى أدنى مميِّـزات الطباعـة والإخـراج الفنـي، كـما تبقـى بعيـدة عـن مضاهـاة نظيرتهـا الغربيـة.

وإجـمالا نقـول إنّـه عـلى الرغـم مـن أهميـة إخـراج المعجـم إخراجًـا جذّابًـا، فإنَّـه لا ينبغـي أن نهتـم بـه إلى درجـة إهـمال المـتن، كـما فعـل ورثـة لويـس المعلـوف الذيـن صرفـوا جُـلَّ اهتمامهـم إلى الجانـب الشـكلي لمعجـم «المنجد»حيـث أخرجـوه »... فيطبعـات تجاريـة مختلفـة الألـوان والأحجـام... لكـن ذلـك كان... عـلى حسـاب ضبـط مادتـه والحـرص عـلى تصحيحهـا... « (الصـوري، 1998) فضاعـت قيمتـه وانحطـت منزلته بـين المعاجـم جـراء التغيـيرات الخاطئـة التـي أحدثـت فيـه[5] «...عـلى يـد ورثـة لم يُحسِـنوا التـصرُّف فيـما ورثـوه «(المبـارك، 1979، ص165).

6- سبل إنماء الثقافة المعجمية:

6. 1 إسهام الأسرة في الثقافة المعجمية:

إن الأسرة هي الخلية الأولى التي يكتسب فيها الفرد عموما والطفل على وجه الخصوص المعارف والخبرات الأولية، التي تساعده على التفاعل مع باقي مؤسسات المجتمع؛ لا سيّما المدرسة التي تقوم بدور تكميلي لدور الأسرة، مما يجعل نجاح المدرسة في تأدية مهمتها على أكمل وجه مرهونا أساسا بنجاح الأسرة. ثم إنّ دخول المتعلم إلى المدرسة لا يعني توقف مهام الأسرة، لأن مصلحته تقتضي تعاضد الطرفين، خصوصا عند وجود مشاكل متعلّقة بالتمدرس، مما يفرض على الأسرة الوقوف والمتابعة وسد الثغرات والفجوات.

فلا يتوقف دور الأسرة -وعلى رأسها الوالدان- عند تزويد الأبناء بالضروريات المادية فحسب، بل يتعداه إلى واجبات أخرى تتمثّل في غرس حب الاطلاع لديهم، وتنمية ميولهم للتعلم والمعرفة من خلال تعريفهم بالكتب والمصادر اللغوية والأدبية والعلمية وفي أولها المعاجم اللغوية؛ حيث يلعب الوسط العائلي دورا مهمًّا في تكوين الطفل وبناء شخصيته وهي أساس بناء مستقبله وهي المسؤولة إلى حد كبير عن إنشاء ابنها إنشاء سويا وإخراجه مواطنا صالحا.

ومما يُبرز مرة أخرى أهمية معرفة الأبناء للمعاجم المدرسية واستخدامها منذ المرحلة التحضيرية، ودور الأولياء في ذلك، هو تلك النصائح الثمينة التي تقدمها معاجم لاروس للأولياء حتى يساعدوا أبناءهم على النجاح في دراستهم وإثراء رصيدهم من المفردات فالتحكم في ناصية اللغة، نحو تلك النصائح المقدمة في معجم Larousse des maternelles، ونذكر منها: (Larousse, 2008, p6-7).

- شجّع الطفل على البحث في المعجم كلما سنحت له الفرصة، فبإمكان هذا البحث أن يقوده إلى اكتشافات أخرى، مثل اللوحات المرسومة والموسوعية التي تتعلق بالطبيعة أو بمواضيع الحياة اليومية، إذ إنها توقظ فضول الطفل، وتنمي لديه حس الملاحظة، وسيتمكن بفضل مساعدتك من

إثـراء رصيـده اللّغـوي.

- كي نساعد الطفل على فهم كلمة ما، يجب أن نبيّن له كيفية تركيبها.
- اطلـب منـه أن يسـمي الأشـياء أو التصرفـات (الأفعـال) المُقدَّمَـة في الرسـوم. وإذا اسـتطعت إثـارة تشـوّقه لذلـك، قـم بالبحـث بصحبتـه عـن بعـض الكلـمات في المعجـم.
- دعـه يلاحـظ لوحـات الموضوعـات الموجـودة في آخـر المعجـم، وقـم بحثّـه عـلى التعليـق عليهـا.
- اقرأ له تعريف كلمة ما، ثم اطلب منه أن يخمن الشيء أو التصرف المعرّف.
- بعـد القيـام مـع الطفـل بالتعليـق عـلى صـورة مـا، والكشـف عـن الكلمـة التـي تناسـبها، مثـل كلـمات: تحـت، كبـير، يصعـد... اسـأله مـا إذا كان يعـرف كلمـة مضـادة لهـا، وبالطَّريقـة نفسـها ابحـث معـه عـن مرادفهـا، لتنظـرا بعـد ذلـك معـا إلى الكلمـة التـي اقترحهـا المعجـم.
- يمكـن أن تجعـل الطفـل يكتشـف هـذا المعجـم مثلـما يُكتشـف الألبـوم: حيـث يرتبـط النـص فيـه بالصـورة ارتباطـا عميقـا، تجعلهـما متكاملـين.
- دع الطفـل يتصفـح المعجـم، وسـوف تلاحـظ بـأن بعـض الصـور ستسـتوقفه فجـأة، حينهـا حفّـزه عـلى التعليـق عليهـا، ثـم قابـل كل صورة بالنـص الـذي يـشرح معنـى الكلمـة المناسـبة للصـورة، ثـم اتـل عليـه التّعريـف.

6. 2 إنشاء مكتبة منزلية وزيارة المكتبات التجارية ومعارض الكتاب:

إنَّ مجـرد وجـود مكتبـة بالمنـزل يقتـضي رؤيـة المتعلـم لهـا وتـردده عليهـا، واسـتعمال كتبهـا، وذلـك ينمـي فيـه روح البحـث، وفضـول المعرفـة، ويرسـم اتجاهاتـه المسـتقبلية،حتى لـو كانـت هـذه المكتبـة عبـارة عـن مجموعـة مـن الكتـب تضـم معجـما أو اثنـين، وبعـض المجـلات والقصـص، التـي سـيقرؤها حينـما يسـتبد بـه الفضـول، أو حينـما يُطالَـب ببحـث، أو بواجب،فيتوقـع أن ذلـك الكتـاب الـذي كان يومـا مـا بـين يديـه قـد يفيـده مـن قريـب أومـن بعيـد بإمـداده المعلومـات التـي تسـاعده في عملـه.

فـإذا كـبر وهـو يشـاهد، ويلاحـظ أفـراد عائلتـه يقـرؤون ويطالعـون ويهتمـون باقتنـاء الكتـب وبالعنايـة بهـا وتنظيمهـا في الخزانـة، فسـيتولد لديـه شـعور باحـترام الكتـب، ومـع مـرّ الأيام،يصبـح مستأنسـا بهـا في دروسـه، بـل وفي أوقـات فراغـه، وتغـدو جـزءا لا يتجـزأ مـن حياتـه.

وبالرغـم مـن أهميـة المكتبـة المنزليـة، فـإن المتعلـم يبقـى في حاجـة إلى مكتبـات أخـرى،وإلى زاد وافـر مـن الكتـب ليطالـع ويشـبع فضولـه، ومـن المكتبـات التـي عـلى الطفـل زيارتهـا والاسـتفادة منهـا، المكتبـات التجاريـة ومعـارض الكتـاب. إلا أن الأطفـال قليـلا مـا يرتـادون هـذه الأماكـن، وقـد يرجـع ذلـك إلى نقـص الثقافـة المكتبيـة لديهـم.

6. 3 تفعيل دور المكتبة المدرسية في الثقافة المعجمية:

قـد نفـترض امتـلاك المتعلـم معجـما في البيـت، إلا أنـه لا يسـتطيع -بصـورة دائمـة- أن يحـوز مجموعـة منهـا ناهيـك عـن أحسـنها أو أحدثهـا، كـما أنـه في ظـل الارتفـاع الكبـير في أسـعار الكتـب يصعـب عـلى الكثـير مـن الأوليـاء اقتنـاء مـا يحتاجـون إليـه، وبالأخـص المصـادر المرجعيـة، مـما يقتـضي وجـود المكتبـة المدرسـية التـي »...تحقـق تكامـل العمليـة التعليميـة بمـا يتلقـاه مـن طـرق اسـتخدام الفهـارس... ودوائـر المعـارف والقواميـس وغـير ذلـك مـن وسـائل الاتصـال بالمعرفـة المتجـددة والمتعـددة المصـادر« (بـركات، 1989، ص223).

لكـنّ العديـد مـن التلاميـذ لا يـزورون المكتبـة المدرسـية، ولا يعرفـون بالضبـط أهميتها ودورهـا، ويمكـن تلخيـص أسـباب ذلـك فيـما يأتي:

- انعدام الرغبة لديهم في المطالعة والبحث.
- الافتقار إلى ثقافة مكتبية، وبالمعنى الواسع إلى ثقافة الكتاب.
- نقـص المراجـع التـي تعـين المتعلـم عـلى الدراسـة والبحـث، في المكتبـات المدرسـية، وعـلى رأسـها المعاجـم، يقـول حسـن كامـل الصـيرفي: «وكـما انصرفـت المـدارس والمعاهـد عـن تزويـد أبنائهـا بهـذه المعاجـم، فقـد انصرفـت أيضـا دور الحكومـة عـن تزويـد مكتباتهـا بواحـد منهـا. وإني لأذكـر أني زرت منـذ أعـوام مكتبـة إحـدى

المدارس فلم أجد بها إلا نسخة واحدة من «المنجد» محفوظة في حرز مكين لم تمسسها منذ أُقتنيت يدٌ بخير أو بشر، لا من دارس ولا من مُدرِّس» (الصيرفي، 1971، ص152).

6. 4 مساهمة المُعلم في إنماء ثقافة المتعلم المعجمية:

بالرغم من توفر المُعَلِّم على مستوى يؤهله للتدريس، فإنه لا يمكنه الاستغناء عن المعجم والرجوع إليه، والمعلم الجيد هو الذي يربي في تلاميذه ثقافة استعمال المعجم ويحبب إليهم هذه الوسيلة، ويبرز لهم ما يقدمه من فوائد جليلة، وينمي فيهم الرغبة في البحث والتنقيب، وذلك لا يكون إلا بتقديم شروح عن طريقة استعمال المعجم، ومناهج ترتيب المادة فيه، خاصة المنهج الجذري لما يحدث فيه من إعلال وإبدال وقلب... فينعكس كل ذلك إيجابا على المُتَعَلِّمين.

والمعجم وسيلة من الوسائل التعليمية ومصدر من مصادر البحث، لذا فمن الضروري أن يُعوِّد المدرس تلاميذه على استعماله، ويحدِّثهم عنه ويعلمهم كيفية البحث فيه، ويناقشهم في الكلمات الجديدة التي يكتسبونها يوميا، ويحاول معهم وضعها في جمل مركبة ومفيدة، وعليه مطالبة تلاميذه باستخدام المعجم باستمرار، لأنه لو اعتمد على أسلوب التلقين، والاكتفاء بتقديم شروح الكلمات الصعبة والغريبة، لاندثرت من ذاكرتهم في مدَّة وجيزة، وهذا ما يفسِّر فقر الرصيد اللغوي لدى التلاميذ، ويبين بوضوح مدى معاناتهم حين يُطالبون بتحرير فقرة ولو كانت وجيزة »ولو أنهم دُرِّبوا على البحث عن هذه المعلومات بأنفسهم، وبذلوا بعض الجهد في هذه السبيل لبقيت معهم وثبتت بشكل دائم في ذاكرتهم، بل وتمثلوها وانعكست على تصرُّفاتهم وسلوكهم وقدرتهم على حلِّ المشكلات« (يوسف، 2002، ص23).

نخلص إلى أن إرشاد المعلم تلاميذه إلى المعجم أمر لابد منه، كما عليه أن يغذي فيهم حب الاطلاع والبحث، وإشعارهم بالحيوية والنشاط أثناء القيام بذلك،

يقول علي القاسمي: «ينبغي على مدرسي اللغة العربية أن يزودوا تلاميذهم بثقافة معجمية، لأن إهمال هذا الجانب الحيوي في التربية اللغوية لا يسبب عدم تمكن الطالب من استخدام المعجمات بشكل فعال فحسب؛ بل يسبب ظهور مفاهيم خاطئة عن طبيعة المعجم ووظيفته أيضا، يجب أن يصف المعلم لطلابه باختصار المعجمات الرئيسية المتوفرة في المكتبة والظروف التي صنفت فيها، وخصائص كل معجم منها وحسناته... إنَّ اختيار معجم مفيد جيد غير كاف في حد ذاته وإن القارئ يحتاج إلى ثقافة معجمية تمكنه من الاستفادة القصوى من ذلك المعجم، وإنَّ من واجب مدرِّس اللغة أن يزود طلابه بتلك الثقافة المعجمية» (القاسمي، 1991، ص164-163).

فعلى المعلّم أن يوضح للمتعلّم جملة من المبادئ الأساسية التي يجب على المتعلم أن يعرفها قبل تصفّح أي معجم والبحث فيه عن الكلمات.

6. 5 طريقة البحث في المعاجم المدرسية العربية:

هناك منهجان يستخدمان في ترتيب مداخل المعجم العربي عمومًا والمعجم المدرسي بشكل خاص؛ وهما المنهج النطقي والمنهج الجذري، ففي المنهج النطقي ترتب الكلمات ترتيبا ألفبائيا دون وضعها تحت جذرها، أي دون تجريدها من الزوائد وترتيب المشتقات داخلها، وهذه الطريقة رغم بساطتها وسهولتها على المتعلم، فإننا نفضل المنهج الجذري لأن استعمال المنهج النطقي له مساوئ كثيرة أبرزها أنّه يؤدي إلى تفكيك شمل الكلمات، ويُباعِد بين فروعها (اشتقاقات الجذر) في جميع أنحاء المعجم، ويفصِم عُراها، ويُزيحُ خاصية هامة من خواص اللغة العربية وهي «خاصية الاشتقاق».

للبحث عن معنى كلمة في المعجم الجذري نتبع الخطوات الآتية:

- لابد للبحث عن الكلمات في المعجم العربي الجذري من حفظ الحروف الهجائية العربية وهي: (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي).

إذا كانت الكلمة أصلية (مجرّدة من الزوائد) نبحث عنها مباشرة في الحرف الأول ثم الثاني ثم الثالث، أما إذا كانت مزيدة[6] فتعاد إلى أصلها، وذلك بتجريدها من حروف الزيادة، والضمائر المتصلة[7]، ليكون الحرف الأوّل من الكلمة هو الحرف الذي سنبحث عنه في المعجم، مع مراعاة تسلسل الحرف الثاني فالثالث، ونراعي الحرف الرابع إذا كان الجذر رباعيًا. مثال ذلك «**يستقبل**» تجرد من أحرف الزيادة فتصبح قبل؛ حيث نبحث في المعجم في باب حرف القاف، فصل الباء، ثمّ حرف اللام لاستكمال تهجئة الكلمة، واستخراج معناها. وتردّ كلمة «**مهندسون**» للمفرد، فتصبح «مهندس»، تجرد من أحرف الزيادة فتصبح «هندس» نبحث في باب الهاء، مع مراعاة ترتيب النون والدال ثم السين.

- تُرد الكلمة للمفرد إذا كانت مثنى أو جمعا مثال ذلك: حضارات: حضارة، مسلمون- مسلم، أقلام- قلم...
- يُرد المفرد وفعلا المضارع والأمر والمصدر والمشتقات إلى الماضي. مثال ذلك: مُستخدم - استخدم. يقف - وقف، ادع - دعا، كتابة - مكتوب – كاتب – كتب.
- ردّ ما حذف من الحروف إلى الكلمة، مثل (سل) تصبح سأل، و(قف) تصبح وقف.
- إذا انتهت الكلمة بحرف علّة (الألف) أو جاء وسطها، فنرده إلى أصله الواوي أو اليائي عن طريق المضارع أو المصدر. مثال ذلك: صام يصوم صَوَمَ، باع يبيع بَيَعَ، هدى يهدي هَدِيَ، السماء:سما يسمو سَمَوَ، القضاء: قضى يقضي قَضِيَ، البائع: باعيبيعبَيَعَ، القائل: قاليقولقَوَلَ، هيِّن: هانيهونهَوَنَ، ميِّت: ماتيموتموت، نيَّةٌ: نويينوي نوي، مطويٌّ: طوى يطوي طوي، الدعاء دعا يدعو دعوَ، استدانة أدان يدين ديَن.
- حذف ياء التصغير: جبيل جبل، غصين غصن، كتيب كتب.
- فكّ الإدغام (الفعل الثلاثي المضعف): مدّ: مدد، دسّ دسس.

- الكلمة الباقية على حرفين نبحث عن الثالث بالتثنية أو الجمع أو الماضي: أب: أبوان، أبو - قل: قال (ثم يخضع لقاعدة حرف العلة)، سل سأل.
- كما يمكن معرفة أصل الكلمات في صيغ منتهى الجموع عن طريق الميزان الصرفي وذلك باستخراج الحروف المقابلة للصيغة فعل، مثال ذلك: هدايا فعالى هدي، مفاتيح مفاعيل فتح، قوافل فواعل قفل، صفائح فعائل صفح.

خاتمة:

بعدما أصبحت عوامل المشكلة فيما يبدو لنا واضحة جلية، نورد فيما يلي اقتراحات لحلها، وغرضنا الأساسي أن يصبح المعجم وسيلة لغوية تعليمية وتثقيفية، محفزة ومثيرة لرصيد التلميذ اللغوي، وأن تنتشر الثقافة المعجمية في أوساط المتعلمين:

- تنمية روح البحث والتنقيب لدى التلاميذ وتشجيع التعلم الذاتي، الذي يعتبر الهدف الأسمى لأي تعليم أو تثقيف، ومن ثمة يمكن أن يصبحوا قادرين على الاستمرار في التعلم والمعرفة، وعلى اكتشاف قدراتهم على التعلم الذاتي؛ فنحن نعيش في عصر انفجار المعلومات، وهي متاحة للجميع والمطلوب هو تزويدهم بالمهارات التي تمكّنهم من الوصول إلى المعرفة، فالمتعلّم »...لم يعد في حاجة إلى ذاكرة يسجل عليها كل شيء بل هو في حاجة إلى مهارة تمكّنه من الوصول إلى كل شيء» (بركات، 1989، ص223).
- اعتماد مبدأ تعددية المعاجم المدرسية بتعدد المراحل التعليمية، أو الأطوار السنية للمتعلمين، بحيث يراعي نمو رصيدهم اللغوي وتطوّر قدراتهم العقلية والمعرفية والنفسية، ووضع حد للمعجم الواحد لكل الأطوار التعليمية أو السنية.
- على المعلمين والأساتذة مطالبة المتعلمين بإحضار المعجم، وشرح مميزاته وخصائصه التي يختلف بها عن الكتب والمصنفات الأخرى، من حيث المفهوم والمحتوى والوظيفة وطريقة التنظيم، وما يحتاجه التلميذ فيه

وتزويدهم بثقافة معجمية وتدريبهم على استعماله، والبحث فيه، ومن الأفضل أن يقوموا بذلك جماعات حتى يقوى حماسهم للبحث ويكبر حبهم للغة العربية فينشؤون معتمدين على أنفسهم في تحصيل المعارف والخبرات.

- تكليف المعلمين تلاميذهم بواجبات منزلية للبحث عن بعض الكلمات وعن معانيها في المعجم، ولا بأس أن يعقب ذلك جوائز تحفيزية. مما يكسبهم رصيدا جيدا من الألفاظ اللغوية، ويحثهم على استعمالها ويقوي مهاراتهم اللغوية والتعبيرية.
- ينبغي أن يُعلَّم الطفل من خلال دروس القواعد والصرف التي تدرّس له في سنواته الدراسية الأولى أنَّ أهمَّ خاصية من خصائص اللغة العربية هو أنها لغة اشتقاقية، وأنه بفضل هذه الخاصية يمكنه أن يؤلِّف ويولّد ويشتق من المادة الواحدة، عددا وفيرا من الألفاظ، بمختلف الأوزان، وبالتالي يمكنه التعبير عما يريد.
- عدم وضع شروح للكلمات الصعبة في الكتاب المدرسي، وإنما يطلب من المتعلم أن يبحث عنها بمفرده، مثلما يطلب منه تحديد الأفكار الأساسية، والفكرة العامة لنص القراءة. وبالتدريج وبمشاركته المستمرة في ذلك البحث يتسنى له أن يتمرَّن على استعمال المعجم ويتعود عليه، لأن الغرض من نصوص القراءة والمطالعة ليس فهم النصوص فحسب، وإنما اكتساب مهارات أخرى من بينها معرفة كيفية استخدامها وتصريفها والتحكم في ذلك.
- تخصيص «حصة مكتبة» ضمن برامج المواد الدراسية تتضمن معلومات نظرية وزيارات ميدانية إرشادية للمكتبة، يباشر فيها التلاميذ التعامل مع المعجم؛ لتغدو المكتبة في تصورهم مركز إشعاع تربوي تعليمي تثقيفي مكمل للعملية التربوية، يهدف إلى تأصيل عادة القراءة والمطالعة والبحث والتفتيش عن الحقيقة، والتزود بالمعارف العلمية واللغوية لدى المتعلمين والمعلمين على حد سواء.
- أن يُعدَّ المعجم المدرسي مجموعة من المؤلفين متعددي الاختصاص في

الدراسات المعجميّة والنفسيّة والرسم وتقنيات الطباعة والإخراج والمراجعة اللغوية والمطبعيّة... فيُتقن ويقترب من المأمول، ويخلو من النقائص والعيوب التي قد تفوت المؤلف الواحد، وإذا توفر ذلك استطاع القارئ أن يتفاعل مع المعجم، ويصبح تعامله معه إيجابيا.

- توفير الإمكانات المادية اللازمة لأن المعاجم بحاجة إلى نوعية رفيعة في مستوى الإخراج، وتكوين متخصصين في الطباعة لإسهامهم في تطوير الجانب المرئي للمعجم الذي لا يقِّل أهمية عن المتن اللغوي.

الإحـالات

1- يتميـز العمـل المرجعـي عـن غـيره مـن الأعـمال مـن خـلال طريقـة الاسـتخدام؛ حيـث نرجـع إلى المعجـم عنـد الحاجـة فحسـب وإلى موضـع أو مواضـع محـددة منـه، وليـس مـن أجـل القـراءة والتتبـع مـن بدايتـه إلى نهايتـه كالروايـة والمقـال.

2- هـو روبـرت براوننـج (Robert Browning) (1812م- 1889م)، شـاعر وكاتـب مسرحـي إنجليـزي، يعـد مـن أشـهر شـعراء العـصر الفيكتـوري.

3- أبراهـام لنكولـن (Abraham Lincoln) (1809م - 1865م)، هـو الرئيـس السـادس عـشر للولايـات المتحـدة الأمريكيـة، في الفـترة مـا بـين 1861م- 1865م.

4- هذا نصه:

Les élèves auront entre les mains et conserveront pendant toute la durée de leurs études une grammaire française et un dictionnaire de langue française.

5- يمكـن اسـتثناء معجـم «المنجـد في اللغـة العربيـة المعـاصرة» مـن هـذا الحكـم لـثراء مادتـه العلميـة تحديـدًا.

6- تشـمل الزيـادة في الكلمـة: (أل) التعريـف، وأحـوال المثنـى، وأحـوال الجمـع بأنواعـه، وأحـوال المنـادى، وحـروف المضارعـة، وحـروف الإعـراب، والتأنيـث، وحـروف الزيـادة العـشرة (سـألتمونيها).

7- وهـي: تـاء الفاعـل، وألـف الاثنـين، وواو الجماعـة، ويـاء المخاطبـة، ونـون النسـوة، ويـاء المتكلـم، ونـا للمتكلمـين، وهـاء الغائـب، وكاف المخاطـب.

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية:

- أبـو العـزم، ع. ا. (7991). المعجـم المـدرسي أسسـه وتوجُّهاتـه. مراكـش: وليـلي للطباعـة والنشر.
- بدران، م. (3891). الوسائل التَّعليميّة. القاهرة: مكتبة النَّهضة المصرية.
- بركات، ع. (9891). التعليم المستمر والتَّثقيف الذاتي. القاهرة: دار الفكر العربي.
- بـن مـدور، س. (9102). المـادة المعجميـة بـين الجمـع والوضـع (أطروحـة دكتـوراه). كليّـة الآداب واللغـات الشرقيـة جامعـة الجزائـر 2.الجزائـر.
- الشريـف، م. ص. ا. (6891). المعجـم بـين النظريـة اللّغويـة والتطبيـق الصناعـي. مجلـة المعجميَّـة بتونس(42).
- الصـوري، ع. (8991). في الممارسـة المعجميَّـة للمـتن اللّغـوي. مجلـة اللسـان العـربي (54).
- الصَّـيرفي، ح. ك. (1791). معاجمنـا اللغويـة بـين الإحيـاء والتجديـد. مجلـة مجمـع اللغـة العربيـة بالقاهـرة(82).
- ضيـف، ع. ا. (0002). اسـتعمال المعجـم بالمدرسـة الأساسـية. مجلـة النـداء التربـوي (7).
- عبد الله، ي. ع. ا. (1991). معجم المعاجم العربية. بيروت: دار الجيل.
- فـروخ، ع. (9691). المطالعـة في كتـب العلـم وفي القامـوس. مجلـة مجمـع اللغـة العربيـة بالقاهـرة (52).
- القاسمي، ع. (1991). علم اللغة وصناعة المعاجم. الرياض: جامعة الملك سعود.

- قنديل، م. ا. (2002). مشكلات الكتابة للطفل العربي. كتاب العربي.)05(.

- كارنيجي، د. التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة. بيروت: دار الفكر العربي. (05).

- المُبارك، م. (9791). نحو وعي لغوي. بيروت: مؤسسة الرسالة.

- هارتمان، ر. (4002). المعاجم عبر الثقافات: دراسات في المعجمية. الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

- يوسف، ع. ا. (2002). محاكمة مجلات الأطفال العربية. كتاب العربي.

باللغة الأجنبية:

- Creary, M., & Dolezal, F. (1999). *A study of dictionary use by ESL students in American University. International Journal of Lexicography*, (12).

- Dubois, J., & Dubois, C. (1971). *Introduction à la lexicographie: le dictionnaire. Paris: Larousse.*

- Dubois, J., (2007). *Grand dictionnaire de linguistique et des sciences de langage. Larousse.*

- Larousse, edition. (2008). *Larousse des maternelles: le dictionnaire des 4 à 6 ans. Paris: Larousse.*

- Obadia, M. (1976). *le lexique. Paris: Hachette.*

- Robert, P. (1980). *Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française. Paris: Le Robert.*